اللغز المحير!

أنا آنسة أبلغ من العمر26 عاما, وحاصلة علي دبلوم أحد المعاهد الفنية التجارية.. وقد بدأت قصتي حين شهدت أسرتنا قبل بضع سنوات مشكلة مؤلمة دفعت أبي لأن يطلق أمي, وقد فعل أبي ذلك لأنه وقع في غرام أختها التي تصغرها بثلاث سنوات, والمتعلمة, في حين أن أمي لم تنل حظا كافيا من التعليم. وقبل أن يقع الطلاق كانت القصة قد ذاعت في مدينتنا بالوجه البحري, وعرف كثيرون أن أبي يحب خالتي وهي تحبه كذلك وأن الاثنين قد ضحيا بأمي علي مذبح الحب والغرام بلا أي اعتبار لمشاعر أمي, وسمعة الأسرة وكل الأشياء التي يراعيها الناس في حياتهم.. وانتهي الأمر بزواج أبي من خالتي.. وانشغالهما بحياتهما الجديدة. وانطوت أمي علي أحزانها وضمتنا لها.. وراحت تحدب علينا وتعوضنا عن غياب الأب من حياتنا.. وبعد صراع قضائي في المحاكم قضت لها المحكمة ببعض حقوقها المادية وبنفقة بسيطة كانت هي عماد حياتنا معها. وعشنا نحن ونحن لا ندري لماذا يعيش أبي مع خالتي في بيت واحد وتعيش أمي وحدها معنا في بيت آخر. واحتاج الأمر منا إلي بعض الوقت لكي نفهم سر هذا اللغز المحير وشعرنا بالخجل والعار حين فهمنا وأحسسنا بحاجتنا لأن نتكتمه عن صديقاتنا وزميلاتنا في المدرسة.. فكنا نزعم لمن يسألنا أن أبي طلق أمنا لعدم التفاهم بينهما وتزوج امرأة غريبة لا نعرفها وليست من أقاربنا!

وأنهيت أنا دراستي وأصبحت شابة في سن الزواج, فإذا بالمشكلة التي وقعت قبل سنوات تفرض نفسها علينا بشكل آخر إذ بدأ يتقدم لي أكثر من خاطب ويقوم بزيارتنا زيارة التعارف المبدئية.. ونرحب به.. ونسأل عنه ويسأل عنا.. فننتظر زيارته الثانية فلا يعود أبدا, ونتساءل عن السبب فيقال لنا إنه قد تحري عن ظروفنا العائلية وعرف بقصة غرام أبي مع خالتي وطلاقه لأمي ليتزوج أختها فرأي أن أسرتنا غير جديرة بمصاهرته!
وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات حتي الآن فما ذنبي ياسيدي في أن أبي قد أحب خالتي وكره أمي, وفي أن خالتي قد بادلته الحب ولم تر مانعا من أن تتزوجه بعد طلاقه لأختها, ولماذا أدفع أنا ثمن هذا التصرف.. من فرصتي في الزواج والاستقرار.. وهل كل فتاة طلقت أمها لأسباب لا يد لها فيها تكون كما قال أحد هؤلاء الخطاب غير حريصة علي استقرار زواجها في المستقبل لأنها عرفت الطلاق في أسرتها من قبل.. وقد تستسهله عند أول صدام ؟

* ««ولكاتبة هذه الرسالة أقول»»
لا ذنب لك ياآنستي فيما جري بين أبيك وخالتك منذ بضع سنوات, وإنما الذنب كل الذنب لمن لم يفكر في إانعكاس اختياره الأناني لعاداته الشخصية مهما يكن طريقه إليها مصادما للمشاعر ومخالفا للأعراف والتقاليد, علي حياة زوجته الأولي وأبنائه. والمشكلة الحقيقية هي أن بعض الأشخاص يطغي عليهم الإحساس بذواتهم ورغباتهم فلا يضعون في اعتبارهم شيئا سوي طلب السعادة لأنفسهم مهما يترتب علي ذلك من تعاسة الآخرين أو الاضرار بالأعزاء في الحاضر والمستقبل.. والمؤكد هو أن والدك لم يتوقف كثيرا لكي يتحسب لأثر زواجه الخارق للمألوف من شقيقة زوجته,

علي مستقبل ابنته وفرصها في الزواج بعد بضع سنوات.. تماما لم تفكر هذه الشقيقة نفسها لحظة واحدة في أثر زواجها من زوج شقيقتها علي هذه الأخت الحسيرة أو علي إحساسها بالقهر والكمد والغدر المزدوج من زوجها وأختها ولا عجب في ذلك لأن من ينشغل بنفسه ورغباته عن كل شيء عداها لا يعنيه من أمر الآخرين شيئا كثيرا, ويستحق في المقابل ألا يكترث به الآخرون وألا يره جديرا بالاحترام والمصاهرة كما فعل بعض هؤلاء الذين تقدموا إليك وأسرعوا بالفرار بعد فهمهم للغز الذي سبق أن حيرك من قبل طويلا.

فإذا أردت أن تتفهمي أسباب عزوف هؤلاء الخطاب بعد إقدامهم علي خطوة البداية.. فقد أستطيع شرحها لك دون أن يعني ذلك موافقتي لهم عليها أو اختلافي معهم حولها.

فأما نفورهم من الارتباط بأسرة طلق ربها زوجته وتزوج من أختها فتفسيره هو أن هؤلاء الخطاب يرون في ذلك مؤشرا مخيفا للقيم الأخلاقية والإنسانية التي تحكم تعامل هذا الأب مع الحياة.,, فينفرون من مصاهرته والتعامل معه كصهر وجد لأبنائهم في المستقبل, كما قد يرون أيضا في ذلك مؤشرا سلبيا للقيم العائلية السائدة في أوساطه الأسرية لايطمئنهم ولا يغريهم بالاندماج في أسرته بالمصاهرة.

وأما تخوف بعض هؤلاء الخطاب من الفتاة التي نشأت في أسرة ممزقة بالطلاق بين الأبوين فتبريره عند بعضهم هو ميلهم لعدم الثقة أو الاطمئنان الي أخلاقيات الأبناء الذين ينصرف الأب عنهم إلي حياته الخاصة.. ويتركهم لأقدارهم في رعاية أم قد تعجز وحدها عن كبح جماحهم.. وغرس الفضائل الأخلاقية فيهم بالقدر المطلوب, ومع أن هذا الاعتبار ليس بالضرورة أن يكون صحيحا في بعض الأحيان إلا أنه يؤثر بالفعل في تقييم بعض الشباب لظروف الفتاة التي يرغبون في الارتباط بها, خاصة إذا كان الارتباط تقليديا ويعتمد علي تقييم الظروف العائلية للفتاة.. دون تجربة شخصية في التعامل معها تكشف لهم عن حقيقة أخلاقياتها وقيمها الدينية والعائلية.

وأما هواجس بعض الشباب بشأن الفتاة التي نشأت بين أبوين منفصلين فتبريرها هو اعتقادهم أن تعاملها مع تجربة الطلاق في حياتها الشخصية قد يوحي لها بأنه أمر ليس خارقا للمألوف ولا هو نهاية الكون بدليل صمودها هي وأخوتها للحياة بالرغم من انفصال الأبوين.. وبالتالي فقد لا تستبعد في المستقبل فكرة طلاقها عن زوجها إذا تعثرت حياتها الزوجية أو اصطدمت ببعض العقبات الكؤود, لأنها قد تقبلت الفكرة نفسيا من قبل.. ولا مانع من قبولها بها مرة أخري إذا دعت الضرورة لذلك, وذلك علي خلاف من تنشأ في أسرة مستقرة تعتبر الطلاق حلا مستحيلا للمشاكل العائلية ولا ينبغي مجرد التفكير فيه ذات يوم مهما تكن الصعاب والمتاعب.. وهذا الاعتقاد بالذات وإن كانت له مبرراته الموضوعية إلا أن تجارب الحياة كثيرا ماتثبت خطأه, وكثيرا ماتؤكد لنا التجربة ان الأبناء من ضحايا انفصال الأبوين قد يكونون علي الناحية الأخري أكثر حرصا في المستقبل علي حياتهم العائلية.. وأكثر تحملا للصعاب,وأشد نفورا من فكرة الطلاق لكي يجنبوا أبناءهم مرارة التمزق العائلي التي تجرعوها هم أنفسهم من قبل.

لكن الآباء والأمهات ـ بالرغم من ذلك ـ قد يأكلون الحصرم فيغرس الأبناء ولو بعد حين كما هو الحال معك الآن يا آنستي.

والمؤكد أن هؤلاء الخطاب الثلاثة الذين ابتعدوا عنك وحكموا عليك بظروفك العائلية التي لا حيلة لك فيها لو أنهم اقتربوا منك ودرسوا شخصيتك جيدا لكانوا أكثر تقديرا وإنصافا لك.

فانتظري فرصتك العادلة في السعادة.. ولسوف تضع الأقدار في طريقك من لا يحاكمك أنت علي ماجناه والدك وخالتك.. وإنما يري فيك مزاياك وأخلاقياتك ويبني حكمه عليك علي أساسها وحدها بإذن الله.